محور: علاقة اللفظ باللفظ

العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها

لا تقتصر الجهود القديمة في الأصوات على بيان المخارج الصوتية والصفات التي تميز بين الحروف، وما يتصل بذلك من جوانب معجمية أو صرفية أو بلاغية، إنما تتعدى ذلك على سعته وعمقه إلى تطبيق للمعارف الصوتية على دلالة الألفاظ من خلال التقابل بين الأصوات التي تؤلف الكلمات، والمعاني التي تشير إليها هذه الكلمات.

ويعد **ابن جني** واحداً من العلماء الذين اشتهروا بالبحث في الأصوات ودورها في تحديد دلالات الكلمات، وذلك نتيجة تعامله المستمر مع هذه الأصوات التي طبعت في ذهنه دلالات مختلفة. فعقد بابًا في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وبابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وبابًا في قوة اللفظ لقوة المعنى، جمع فيها ابن جني أمثلة تُبين القيمة التعبيرية للحرف = (الصوت) الواحد في حال البساطة، وأيضًا في حال التركيب.[1]

فحين حديثه عن أصل اللغات ذكر أن هناك رأيا يقول بأن أصل اللغات هو من الأصوات المسموعة. وفي حديثه في "باب في إمساس الألفاظ أشبه المعاني" أشار إلى أن الخليل وسيبويه قد أشارا إلى هذه المسألة. فالخليل ذكر أنهم توهموا في صوت الجندب[2] استطالة ومدا، فقالوا: صر[3]. وتوهموا في صوت البازي[4] تقطيعا فقالوا: صرصر[5]. كما لاحظ سيبويه أن المصادر التي تأتي على وزن "القَعَلان" تدل على الاضطراب والحركة، نحو الغليان والنقزان، فقابلوا بتوالي حركات المثال(البناء) توالي حركات الأفعال.[6]

أما ابن جني فوقف على نماذج كثيرة منها:

1- أن تكرار الحرف في اللفظ يقابل تكرار الحدث أو الفعل في الواقع. كما في الزعزعة، والقلقلة، والقعقعة، والقرقرة، ونحوها.

2- وأن توالي الحركات في اللفظ يقابل تواليها في الحدث، نحو: البَشَكى، والجَمَزى، والوَلَقى، وغيرها[7].

---

[1] – ينظر: الخصائص (2/ 145) وما بعدها، ودراسات في فقه اللغة؛ د. صبحي الصالح (ص141) وما بعدها، دار العلم للملايين، ط 13- 1997م.

[2] – الجندب:(اسم) الجمع : جَنادِبُ الجَنْدَبُ :نَوْعٌ من الجراد يَصِرُّ ويقفز ويطير والجمع : جَنادِبُ

[3] - صَرَ الجَنْدَبُ يَصِرُ صَرِيراً، وكذلك البابُ إذا صَوَّتَ

[4] – البازي) :معرب ، جمع بزاة ، من جوارح الطير يصاد به.

[5] – الصرْصَر) :اسم، صوت الصَّقْر ؛ صوت صياح البازيّ بشدة وتقطع.

[6] – انظر؛ الخصائص، 152/2. والكتاب، 14/4.

[7] – البشكى: صفة للسريعة، يقلل: ناقة بشكى. والجمزى: صفة للسريع، يقال: حمار جمزى أي سريع. الولقى: عدو فيه نزو.

3- وأن ترتيب الحروف في الكلمات يقابل ترتيب الأفعال التي تدل على تلك الكلمات، نحو استسقى، واستطعم، واستوهب. فرتبت الحروف على ترتيب الأفعال، لأن (استفعل) فيه الهمزة والسين والتاء زائدة، ثم الفاء والعين واللام أصلية، وقد تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة، وهما قبل حدوث الفعل ، لأنهما طلب له.

4 - وأن تكرار العين في الفعل يقابل تكرار الحدث، فقالوا: كسّر وقطّع، وغلّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل (الحدث)، والعين (في الميزان الصرفي) أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، وهما سياج لها، إذ قلما تجد الحذف في العين.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الكفوي (ت1094هـ) من أنهم قالوا: "فرقت بين الحكمين" مخففا، و"فرّقت بين الشخصين" مشددا. ووجه المناسبة أن المعاني لطيفة والأجسام والأعيان كثيفة. فأعطوا الخفيف للطيف والشديد للكثيف[1].

5 – وأن تكرار العين واللام في البناء يدل على المبالغة في المعنى، والأصل هو تكرار العين، إلا أن اللام جاءت تبعا لها، نحو: صمحمح، وعركك، وغشمشم[2].

6 – وأن الأبنية بأصوات حروفها تقابل أصوات الأحداث أو الأفعال التي تدل عليها.نحو: الخضم والقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ ، والقضم للصلب كالشعير ونحوه. فقد اختاروا الخاء في الخضم لرخاوتها في الدلالة على الرطب، والقاف في القضم في صلابتها للدلالة على اليابس اتباعا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

7 – وأن ترتيب أصوات الحروف في الأبنية يقابل ترتيب الأحداث أو الأفعال في الواقع، فأول الحروف في الكلمة يقابل أول الحدث في الواقع، وأوسطها يقابل أوسطه، وآخرها يقابل آخره، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود ، من ذلك قولهم: جر الشيء، قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر مشقة على الجار والمجرور جميعا، ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف مكرر، وكرروها -لأنها مشددة- مع ذلك. لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعدا عنها ونازلا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق. فكانت الراء – لما فيها من التكرار، ولأنها أيضا قد كررت- أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها.

وقد حاول اللغويون أن يجعلوا لكل حرف معنى خاصا به، ويكون معنى الكلمة من مجموع معاني حروفها جميعا. من ذلك أن الغين تدل على الاستتار والخفاء في المواد المعجمية التالية: (غاب، غار، غاض، غال، غام، غمد، غمض، غرب، غرق...) . وأن النون تدل على الظهور والبروز كما في المواد التالية: (نفث، نفخ، نبت،

---

[1]- انظر: الكليات، 353/3.

[2] - الصمحمح: الرجل الشديد المجتمع الألواح والقصير، والعركك: القوي الغليظ. والغشمشم: من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء.

نبذ، نزف، نزع، نجم، نشأ...) وأن القاف تدل على معنى الاصطدام أو الانفصال مقترنا بصوت شديد تصوره القاف في شدتها، كما في الأمثلة الآتية: (قدَّ، قطع، قرع،قرف، طرق، شق، عقر).

ويمكن لنا أن نستنتج أن كلمة (غرق) مثلا يحصل معناها من تلاقي معاني حروفها، فالغين تدل على غيبة الجسم في الماء، والراء تدل على التكرار والاستمرار في سقوطه، والقاف تدل على اصطدام الجسم في قعر الماء.[1]

ومن ذلك :قول الله سبحانه وتعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: 83]؛ أي: تزعجهم وتُقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك[2].

[1] – المبارك، فقه اللغة ص105.

[2] – عبدالرحمن، ممدوح (1994م): المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية: 94.